

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزرنا علما، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا من يسمعون القول فيتبعون أحسنها وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أيها الأخوة الكرام، الآن بعد أن استغل سيدنا يوسف هذين الفتىيَّاه في رؤيا رأوها، الآن جاء دور تفسير الرؤيا.

وذكرنا في درس سابق أن المؤمن إذا أناظر به الله أناساً، وجعله قيماً عليهم؛ أي أو رئيس دائرة أو مديرًا، هؤلاء الذين عهد الله بهم إليك، وأناظرهم بك، عليك أن توجههم إلى الآخرة، وتصلح دينهم، ألا ترون الدعاء النبوى الشريف: اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا... "فأنت إذا أصلحت شأن من حوالك، وأصلحت دنياهم عليك أن تصلح آخرتهم.

قال تعالى:

﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَا أَحْدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَا الْآخَرُ﴾

[سورة يوسف]

فال الأول يطلق سراحه، ويعود إلى عمله في قصر الملك، ويخدمه ثم قال تعالى:

﴿وَأَمَا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾

[سورة يوسف]

أي سوف يقتل، وهناك رأي لبعض العلماء أن قوله تعالى:

﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانٌ﴾ (٤١)

[سورة يوسف]

أن المرء إذا رأى رؤيا مخيفة، وفيها تحذير، لو أنه تاب إلى الله تعالى فإنها لا تقع أما إن لم يتتب وقعَت فلعل هذا النبي الكريم رأى من أحدهما استهزاءً بهذا التفسير ؛ فقال:

﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانٌ﴾ (٤١)

فالإنسان إذا رأى رؤيا واضحة كالشمس، ومخيفة، وكان منحرفاً ومُنْتَبِساً بمعصية وأكل لحق، فهذه الرؤيا تقع ولا تقع ! تقع إن لم يتتب ولا تقع إذا تاب.

نريد أن تكون هذه الحقيقة واضحة في أذهاننا، إنسان مُنْتَبِس بمعصية مال حرام، أو ظالم، أو مقصِّر في أداء حقوق، وهو يعلم ذلك فرأى رؤيا مخيفة، ورأى أنه وقع من بناء شاهق فنزل مينا، وأن حيواناً نهشة، وأن محلة حرق، واستيقظ رهوباً، وهذه الرؤيا من الله عز وجل ؛ تحذير

لما فيه معصية، وهل تقع هذه الرؤيا ؟ الجواب: هذه الرؤيا تقع ولا تقع ! تقع إن لم يتب، ولا تقع إذا تاب، وبعض المفسرين لعل أحدهما استهزأ فقال يوسف عليه السلام:

﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْنِفْتَيَانِ﴾ (٤١)

[سورة يوسف]

قال تعالى:

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا أذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضُعْ سِنِينَ﴾ (٤٢)

[سورة يوسف]

هناك من يقول: أن يوسف عليه السلام طلب من هذا الفتى الذي هو ناج أن يذكره عند ربّه ولذا أبقاء الله تعالى في السجن بضعة سنين عقابا له !! فهذا الكلام ليس صحيحاً، والعلماء قالوا: يجوز للمؤمن أن يتبعني إلى الله الوسيلة، وأن يسعى لإنقاذ نفسه عند إنسان قوي؛ فهذا يجوز، ولكن لا يجوز أن تعتقد أن هذا الإنسان سينجي، ويكون بهذا قد أشرك، أما إذا أخذ بالأسباب، وتوكل على رب الأرباب فلم يشرك، وهذا من باب الشفاعة، قال تعالى:

﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يُكَنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يُكَنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَبِساً﴾ (٨٥)

[سورة النساء]

هذا مشروع، والله عز وجل في حديث دقيق جداً:

((إِنَّ اللَّهَ يَلْوُمُ عَلَى الْعَجْزِ، عَلَيْكُمْ بِالْكِيسِ))

فهذا الحديث الشريف لو طبقه الناس لكانوا سادة الدنيا أنت أسلع ونظم واشتكي، وقابل، وأقنعهم بالحسنى والمعروف فإذا غلبك أمر وما استطعت حينها تقول: حسب الله ونعم الوكيل، وهذا بعد السعي والأخذ بالأسباب، فلا يجوز قولها قبل التسبّب.

((إِنَّ اللَّهَ يَلْوُمُ عَلَى الْعَجْزِ، عَلَيْكُمْ بِالْكِيسِ))

دبر وخطط وفكّر وبين ووضّح وتحرك، وعندما يغلبك الأمر فقل: حسب الله ونعم الوكيل إذا لا يجوز أن تستسلم للمقاضي، والعلماء فرقوا بين القضاء والمقضى فالقضاء كالزلزال والمطر الشحّيحة، والمرض لكن الم قضى هو أن يعذّي عليك إنسان، وأن يسرّفك، حينها لا تقل هذا قضاء على وتركه يسرق، ولكن عليك أن تكتمه.

سيّدنا عمر كان في طريقه إلى الشام فعلموا أنّ بها وباء هو الطاعون فتحيروا في الأمر؛ بعضهم قالوا: ندخل، ولا نفرّ من قضاء الله والآخر قالوا: لا ! فلما عرضوا الأمر على عمر رضي الله عنه قال: لا ندخل، فقال بعضهم: يا أمير المؤمنين، أقرّ من قضاء الله ؟ فقال: نعم، أنا أقرّ من قضاء الله إلى قضاء الله ! لو أنّ راعياً معه شياه وهناك أرضان إحداهما مُجذبة والآخرة مُخصبة، أليس لو حول غنمته من المجدبة إلى المخصبة فرّ من قضاء الله إلى قضاء الله !!

فالقضاء ما يأتي من الله مباشرةً، أما المُقْضيَ ما يأتي من ظُلْمِ العباد فالمُقْضي يُقاوم ويُعارض،
لذا لا تقبل أن يُؤخذ منك حقك وأنت ساكت ليس هذا من خلق المسلم، قال تعالى:
﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبُغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ (٣٩)

[سورة الشورى]

قال تعالى:

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَ وَأَصْحَحَ فَاجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (٤٠)

[سورة الشورى]

فإذا غالب على ظنك أن عفوك على أخيك يصلحه ويقربه فيجب أن تعفوا، أما إذا غالب على أمرك أن عفوك يزيدك عدواناً وبغياناً وتطاولاً يجب أن تأخذ حقك دون استسلام، ولكن إذا أخذت حقك ينبغي أن لا تزيد على حقك شيئاً.

لذا سيدنا يوسف لما قال: اذكريني عند ربك ما فعل شيئاً بهذا ! وما فعل شيئاً خلاف منهج الله تعالى، فهو لا يعتقد النجاة من غير الله تعالى، ففي بعض التفاسير كما قلنا قالوا: أبقاء سبع سنوات في السجن من أجل ان قال: اذكريني عند ربك ! فهذا الكلام لا أصل له، ونحن كمؤمنين بإمكاننا أن نصل إلى أهدافنا عن أسباب لا تضر إيماننا ولا تقدح في توحيدنا.

قال تعالى:

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عَجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبَلَاتٍ حُضْرٌ وَآخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايِّ إِنْ كُنْتُمْ لِرُؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ (٤٣)

[سورة يوسف]

هذه هي الرؤيا التي رأها الملك، قال تعالى:

﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾ (٤) وَقَالَ الَّذِي نَجَّا مِنْهُمَا وَادْكَرَ بَعْدَ أُمَّةً أَنَا أَنْبِكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسَلُونَ﴾ (٥) يوسف أية الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبعين سنبلا خضر وآخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون (٦) قال تزرعون سبع سنين دابا﴾

[سورة يوسف]

سبعين سنة تغل غلات وفيرة ثم قال تعالى:

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾ (٤٧)

[سورة يوسف]

وهذه إشارة في علم الزراعة أن القمح إذا بقي في سنبليه يحفظ سبع سنوات بالتمام والكمال، ثم قال تعالى:

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعُ شِدَادٍ يَأْكُلُنَّ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ﴾ (٤٨)

[سورة يوسف]

أي البذار ثم قال تعالى:

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (٤٩) وَقَالَ الْمُلْكُ أَشْتُوْنِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالِ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيهِنَّ إِنَّ رَبِّي بِكِيدِهِنَّ عَلِيمٌ (٥٠)﴾

[سورة يوسف]

هل هناك إنسان يصدر أمر الإفراج عنه من السجن، ولا يخرج ؟ المؤمن كرامته عالية، وشرف المؤمن قيمة بالليل، وعزه استغناه عن الناس فلو أنه كان سجينًا عاديًا ما إن سمع بإطلاق سراحه حتى تراه مسرعاً ولكن قال له قال تعالى:

﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالِ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيهِنَّ إِنَّ رَبِّي بِكِيدِهِنَّ عَلِيمٌ (٥٠)﴾

[سورة يوسف]

وهذا نأخذ في درس قادم إن شاء الله.

والملاحظ أن الله تعالى يمتحن الناس بالرخاء والشدة، تأتي سبعة سنوات خير، وأخرى شر، فالناس إذا فتحت عليهم الأمور يفسرون وإذا ضيقوا يكفرون، والله تعالى قال:

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ حُلْقَ هَلْوَعًا (١٩)﴾

[سورة المعارج]

فالمؤمن في الرخاء شكور، وفي البلاء صبور، وغير المؤمن في الرخاء ساه وغافل، وفي الشدة ييأس وهي كفر، والغفلة أيضاً بعد عن الله تعالى، فالله تعالى عالج هؤلاء بسبعين سنوات عجاف وأخرى خيرات، والملاحظ في البلاد الإسلامية هذه الموجات ؛ انفتاح وانغلاق أما المؤمن الصادق فلا ينسى فضل الله تعالى في الرخاء، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: ((أمرني رب بيتنع: خشية الله في السر والعلانية، وكلمة العدل في الغضب والرضا، القصد في الفقر والغني وإن أصل من قطني، وأن أعفو عن ظلمني، وأعطي من حرمتني وإن يكون صمتي فكراً، ونطقني ذكرًا، ونظرني عبرة.))

والحمد لله رب العالمين